

الباب الرابع

موزاييك

obeikandi.com

عطش

أناخه العوز على حصيرته حتّى جفّ قیظُ الأيام ريقه، فطفق
يبحث عن ماء في دلاء السّقاءين ليطفئ ظمأه.

أغدقوا عليه بالنّهل، فابتهل وظنّ ديمومة الارتواء... طلب العَلَل
فأبعدت الدّلاء عن فمه، عندها أيقن أنّ دلاء الآخرين لا يمكن أن
تبقّيه مرتویا، وأنّ عليه حفر بئر تبقى مُلك يده!

ثآليل

قالت له جدته :

لا تُشر بيدك نحو النجوم لئلا يظهر ثؤلول في إصبعك .

ظلّ ليالي طويلة يشير بإصبعه نحوها، ولم يظهر شيء .

في إحدى الليالي صبغَ على ابنة الجيران الحيّة، فتضاحك المارّون

ورموها بحصى الشائعات.

استفاق وقد غطّت الثآليل إصبعه.

قال الراوي

اجتمع الراوي (الفيسبوكي) بجمهوره لسرد حكايته اليومية فقال:

سيكون ما يكون، وستتغير الأمور، حتى مواقع النجوم. ولن يكون ردّ وحديث أحمد وعيسى إلّا (لايكا)، وسيصبح الشاطر حسن أجراً من يستعمل (الهّاكر) لدحض مغامرات الشّطار، وسيستولي علي بابا على (الباسووردات)، ولن يفتح خزانة الأسرار أيّ سمسّم.

جنّ جنون أحد المصغيين فأرسل (المسجات) لكلّ الأصدقاء :

نريد عودة راوي "كان ياما كان في سالف العصر والأوان"، ومشطوب اسم من لا يعلن الثورة على راوي هذا الزّمان.

رفض

دُعاني صاحبي لتناول وجبة عشاء احتفالا بعيد ميلاده .
بهرتني الأضواء والزينة المتدلّية ثريا جمال فوق رؤوس الحاضرين .
علا صوت الموسيقى، وتوزّع كلّ وخلّه في زوايا البيت الواسع .
فُتحت علب الهدايا فعرّج نظري على إحداها واستقرّ هناك . اقترب
منّي صديقي يقدّمها لي، لكنّه تركني مستجيبا لإشارة من يد أبيه .
فجأة، توقّف صدح الموسيقى، وإذ بصدى زجر يخترق أذني:
ألا يكفي ما نقدّمه له من صدقات...؟!
وبلحظة وجدت خطواتي تسابق الرّيح، وبعد التقاط أنفاسي
دست إصبعي في حلقي...

استحالة

نكش معول الزّمن والعمل في يديها أتلام الشّقاء، فكان ملمسهما
خشنا رغم استعمال الزيوت المطريّة... وزاد من خشونة حياتها
عدم تقدّم الشّبان لخطبتها، فمكثت على جمر أثافي الانتظار، يخنقها
الغيظ كلّما دعته إحدى الصّديقات لحفل خطوبتها.

أخيرا، جاء من يفرح القلب ويرشّ الماء على جمر الأشواق،
وتزوّجت وهي في أواخر العقد الثّالث من مهندس أرمل، ونشرت
مشاعل الفرّح أضواءها على المقربين أيضا.

في عيادة أحد الأطباء، صادفتها من عاشت وإياها لواعج الهموم،
واستنشقت معها سناج سُرج الفقر، فركضت لاحتضانها شوقا
وغبطة هاتفة بصوت تقطع الدّهشة بعض نغماته: صديقتي
العزيزة...

تجاهلت شوقها وأخذت تلوّح بمفاتيح سيّارة (المرسيدس)
وتخاطبها متفحّصة إياها وباستغراب:

أيعقل أن أكون أنا من معارفك؟! لا، لا، هذا مستحيل.

في السّوق

تمهّل حتّى وضع الخضرىّ محتويات عربته في السّوق الغاص بمن
لطموا وجهه بالخيبة حين سؤاله، واقترب مادّا يده قائلاً:

رمضان كريم...

أجابه: الله أكرم.

جاء شابّ ووقف أمام العربية ينتقي الخضار، وفي يده سيجارة
فاغتاظ الخضرىّ وصاح به: "إذا بُليتُم فاستتروا". أتجاهر بالمعصية؟

داعبت البسمة وجه المتسوّل المحبط ودنا من البائع قائلاً:

"وأما السائل فلا تنهر".

ابتهاج

أضياء سحر أنوار المفرقات النَّاريَّة سماء البلدة، واهتَزَّت جدران القلب وهَزَّت معها مشاعر المقرِّبين ابتهاجا باكتشاف الأرقام الفائزة بالجائزة الكبرى.

أخرج ما اذخره لصعاب الأيام، وأقام الولائم، فأَتْخمت البطون وغابت عن أصحابها العقول لثلاث ليال في قاعات كأَنَّها القصور. هدأت سَوْرَة انفعاله، وارتدَّ إليه اتّزانه، فجلس يخطِّط ويفكر بكيفيَّة استثمار ماله...

نهض نشيطا وذهب للمصرف كي يستلم الكنز . استغرب الموظف طلبه وسأله بطاقته الشَّخصيَّة والبطاقة الفائزة. أمعن النّظر في الأوراق ونظر إليه قائلا:

يؤسفني أنّك رأيت العدد ستّة ثمانية .

ضجر

تملأ الرأس على وسائد الضجر ليالي طويلة... ولما اكتشف
صاحبه طريقة لراحته، سحبت الوسائد.

بر

تورمت قدماه وهو يبحث عن أفضل المدارس الخاصة لتعليم ابنه، وتشققت يداه وهو يحول الصّخور تراباً لتوفير هناء العيش ورغده...

ولما شاخ تورم جفناه بكاء لسماع سيول تأفف ابنه، وهو يسأل مغتاضاً عن مركز لرعاية المسنين ببخس الأثمان.

هجر

قضى سنوات من عمره فاعل الحضور... ما خذل طارقا يسأل
المشورة، ولا باسطا يده يريد المعونة، ولا نفسا تطلب تخفيف ما
أثقل كاهلها من حمولة.

قرّر يوما أن يلتفت إلى ذاته المهجورة.. مشى في طريق تحقيق الآمال
يسعى ثورا، فوجد نفسه بعيد أيام أسير هجر الآخرين، وخارج
إطار الصّورة.

تأرجح

نامت ملتحفة لحاف الأمل، ومفترشة فراش التعب، فكان الأول
يرفعها بخفة نحو سديم متموج الزرقة، يبيثها إشعاع الفرح، والثاني
يجذبها إليه فتتهاوى على أديم الواقع ليلتصق طينه بجسمها .
شقيقت طيور الصّباح مسبّحة، فوجدت نفسها في دائرة أعجزتها
عن المشاركة.

الأمانيّ

احرنجمت الأمانيّ حول موقد الشّوق للّقاء ذات ليل غشّيته
اللّهفة، ولما كان الصّباح، افرنقت وتطايرت وجر الموقد في فضاء
الدّهشة؛ جرّاء طلقة من فوّهة مشاعر النّكسة.

قناع

جلس مع ثلّة من الأصدقاء ممّن اعتاد الالتقاء بهم نهاية الأسبوع،
ورقة الشّوق يداعب نسيّمها الأنفس بعذب الكلام، وخفّة المزاج.

بعد هرج وضحك، رشق بحجارة كلامه أحد الأصدقاء، فأصابه
الوجوم ولم يشأّ إفساد بهجة اللّقاء، لكنّ الرّجم توالى بأقسى
الكلمات فطفح الكيل، وعلت الوجوه سمات الغضب الممزوجة
بالعجب.. صاح أحدهم:

ما بك اليوم؟ تبدو غريبا وحاقدًا.. فسبقه لسانه قائلا:

يبدو أنّي نسيت القناع!

ياسمينة

كانت الياسمينة شاخة تتباهى بعلوّها على رفيقتها الوردة الجوريّة،
وتفخر بأريجها الذي يجذب القاصي والدّاني إليها..
شمّتْها أنوف كثيرة فسلبتها الرّائحة والميزة، اعتراها الدّبول فجأة،
فتهاوت منغرسه في شوكة الوردة .. تضاحكت الأخيرة قائلة:
حذّرتك وقلت لك لا تشمخي متعالية؛ لئلا تعودني لحضني ذاوية!

دليل

اعتاد الأب أن يكذب ادّعاءات ابنه ضدّ زوجته وقسوتها؛ نظرا لما يراه من رقة واهتمام به وبطعامه حين حضوره.

ضاقت به السّبل، وقبع ليالي طويلة على سرير المحن، وقلبه يغلي على نار الإحن إلى أن برّدت قلبه أجمل الحيل.

اجتمعت العائلة قبالة التّلفاز، فضعفت الزّوجة أمام مشهد طفل يبكي لفقدان أمّه، واقتربت من ابن زوجها تداعب شعره ثمّ احتضنته وأجهشت بالبكاء.. بعد لحظات صمت كاد فيها الصبيّ يخنق، وإذ بجعجة أصوات تكسر حاجز الصّمت.. بهت الجميع وحملقوا مستنكرين، فأبعدت الصبيّ عنها، ورمت بهاتفه النّقال بعيدا.

نور

البساطة من صفات أهل الحيّ ، وأذرع الفقر تحتضن أناسه،
والجهل يزيد الوضع بؤسا...

وعد رجال الحيّ أحد مرشحي البلدية لانتخابات الرئاسة بالدعم
والمساندة مقابل التطوير.. وبعدها اعتلى الكرسيّ، كان همّه إزالة
سواد الليل بأنوار المصابيح الكهربائيّة تحت شعار عصرنة الحيّ،
بعد أن عانى من مشاكل اللصوص وغيرهم..

فرح الأهالي وهللوا حين شعت خيوط النور مبددة وحشة الليل
المخيفة.

في الفترة الرئاسيّة الثانية لم يحظَ الرئيس بأصوات الناخبين الذين
دعموه . ولما سئل عن السبب أجاب:

لأنّي زوّدت الحيّ الذي عشق أهله الظلمة بنور الكهرباء.

عوسج

وخز شوك الأحزان قلبه، وأسالت الجراح دم الكآبة.. راح يبث
لواعج ألمه لينعم بترياق الشفاء ولمسات أيدي الأعزاء.. فحضر
زجاجات للتخزين متوقّعا الإغداق والتبجيل، ذهل حين ردّت
عليه شكواه مشبعة بعوسج الملامة وحنظل الإهانة!

جاران

عاشا جارین متقاسمین لقمة العیش وأرغفة الهموم، وتمازج الدّم
حين احتاج أحدهما للآخر، وتواصلت شرايين المحبة سنين، لكنها
تمزقت حقدا وفتتت أواصر الصداقة بإعلاء جدار إسمتيّ تجاوز
حدود أرض الجار، ولم يبق سوى الذّكرى، فيما صاحبها في عثم
زنزانة السّجن ملقى.

عجوز

جلست العجوز قبالة مرآتها، ويدها المرتجفة حاولت صبغ شفتيها
بأحمر الشفاه.

أمعنت النّظر فرأت أنّ الشّفتين على حالهما.. كرّرت العمليّة دون
جدوى.. فتمتّت:

سأرفع دعوى ضد الشركة التي تدعي أنّها الأفضل في صنع المواد
التّجميليّة، لكنني نسيت اسمها الآن.

تحركت الشّفتان المجدّتان ناطقتين:

ألا تسأليننا؟! فنحن السّجلّ الذي حمل أسماء الشركات، وطوى
الثّقل صفحاتنا!

تَبَاهٍ

تَبَاهَتِ السَّبَابَةُ أَمَامَ الْوَسْطَى بِأَهْمِيَّتِهَا، وَكَثْرَةِ عَمَلِهَا عَلَى أَجْهَزَةِ
اللَّمْسِ الَّتِي تَأْخُذُهَا إِلَى عَوَالِمٍ رَائِعَةٍ بَتَنَوُّعِهَا، فَيَا هِيَ قَدْ تَسْتَعْمَلُ
لِلسَّبَابِ وَالسَّخَرِيَّةِ.

سَكَتَتْ هَنِيئَةً ثُمَّ رَدَّتْ:

لَقَدْ خَلَقَكَ اللَّهُ لِتَشْهَدِي عَلَى عِبَادِيَّتِكَ لَهُ، فَاسْتَعْبَدْتُكَ الْمَلْهِيَاتِ.

ثقة

أغراه الثلج بتجسيد حلمه أمام معارفه، فدعاهم وشرع بنصب
تمثاله العظيم على جبل الإبداع؛ مراهنًا على بقائه صامدًا متحدًا
شمس الربيع القادم.

بعد أيام، خرجت الشمس من مخدعها باسمه تقول:

حذارٍ من نوري، فإنَّه يظهر حقائق الأمور!

سخرية

عاد من عمله، فذهل لما رأى بيت جاره قد تعرّض للهدم بحجة البناء غير المرخص، وأوجعه قلبه لسماع نحيب أهل البيت وهم يدقّون أوتاد خيمة بجانبه.

نظر إلى الصحيفة التي أحضرها معه، بعد أن استلقى على الأريكة مهتمًا، وقرأ ما أثار ضحكته الساخرة:

"بناء فندق للكلاب التي ينوي أصحابها قضاء العطلة الصيفيّة خارج البلاد!"

رسالة

جلس مع مجموعة من أصحابه يتباحثون في أمور الساعة، وما آل إليه الناس ..

سأل صديقه الصحفي:

ما هو تخطيطك في ظل الظروف الراهنة؟ هل ستبقى مخاطرا بحياتك لتنقل تقارير ما يجري؟

أجابه متسلحا بالثقة:

شرف المهنة يدعوني لهذا، وأصالة الانتماء لشعبي تدفعني إليه، وغدا لا شك سيكون يوما حافلا... أعدك أنني سألتقط لك صورة بطوليّة!

استأذن من الجالسين وخرج.. وما هي سوى لحظات حتى علا الضجيج في الشارع، والتف الناس حول أحدهم.. هرعوا فرأوا زميلهم ملقى على الأرض فاقد الوعي.. تناول أحدهم حقيبته وهاتفه، ولكنه ذهل حين قرأ رسالة لم ترسل بعد:

حضرة مدير القسم.. وددت إبلاغكم أنّ هناك مجموعة في مطعم البرج تخطّط للتحرير والتظاهر...

مكافأة

ألقى به جفاف الحاجة إلى رطوبة حضان البحر، فصاد الأسماك
ليطعم الأفواه التي تولّى أمرها.

ظلّ سنين طويلة يلاطم أمواج الحياة هازما الأمواج البحريّة
المعتضة قاربه، حتّى كان اليوم الذي لاطمته فيه أكفّ من
يطعمهم، وألقت بقارب فضله في أعماق البحر.

شجار

تشاجر وأبناء الحيّ بسبب ما يلقونه من نفايات في الدّرب المؤدّي
لبنيته.. جاء أحدهم لاعنا ومهدّدا إيّاه بمضاعفة الأذى، فثارت
ثأثرته صارخا:

حتّى أنت أيّها الأعور تهّدّني!

مرّت أعوام، وإذ بطارق يطرق بابه، ولما دعاه للدّخول قال:

أنا الأعور، أتيت لأهنتّك بمولودك الأعمى!

الجزء

خارت قواها لكثرة ما قلعت يداها من كلاً التَّسْوَل، فراحت تطرق باب قصر سيدها كي يعتقها، وتحظى ببساط الراحة..

ظَلَّتْ أَيَّاماً وليالي تشحذ عطفه، لكنَّ الصَّوت ارتدَّ على مسامعها خواراً، ثمَّ أرسلَ لها مَنْ يعلفها، ويعيدها عنوةً إلى إحدى حظائره.

مرآة لعينة

أعجبه أحد الأئمة فيما كان يسير في شوارع المدينة، فوضعه على وجهه وسار يضاحك من يصادفهم من معارفه..

سرّ الناس بوجهه الجديد وكذا زوجه، فقرّر عدم خلعه.

شعر أنّ الكون أجلسه في برج السعادة، وحلّق بجناحي الإعجاب بنفسه لما أهدي إليه من كنوز عجّت بآلئ إعجاب الآخرين به.. فتضاعفت مشاريعه ونجاحاته..

في أحد الأصباح، وقف أمام المرأة يبغى الاطمئنان على وجهه الحقيقي بعد مدّة من إخفائه، فأزال القناع، وأصابه الدهول لغرابة ما رأى، فراح يتلفّظ في الغرفة باحثاً عن شخص آخر.. ولما تأكّد من خلوها، بدأ يهشّم زجاج المرأة ويصرخ:

تبّاً لك! لم شوّهت وجهي هكذا أيّتها المرأة اللّعينّة؟!!

خواء

أسدلت عليّ الحياة الرّوتينيّة رداء الملل، فكساني التّدمر حتّى أخص
قدمي.. فجأة، عزفت موسيقا هاتفي منتشلة إياي من سوداويّة
أفكاري، ليدعوني صديقي إلى سهرة تزيل عني أسمال الخواء..

أغراني حديثه، ولبيت الدّعوة بشكر وامتنان.

القاعة فاخرة، وأناس زانهم بريق ملابسهم، والأأيادي مشغولة
بتعبئة الصّحون وتفريغها.. وعينا يزيغ نظرها لكثرة ما
عجّ المكان بالصّور والألوان.. ولم تغرني الخيرات بالانسجام،
وتضاعف الضّجيج بصوت المفرقات اللامعة الأضواء.

وسألني صديقي:

هل تغير الحال، وهذا البال؟ فقلت:

لا أدري.. وخرجت للحديقة لأرتاح من الضوضاء، فوجدتني
بين بالونات من البشر المزعجة بأحجام وألوان.

صدقة

قرّر أن يبدأ يومه بصدقة كي يردّ الأذى عن ابنه المريض .
تناول مبلغاً من المال، وعطّره بأغلى العطور، ثمّ قصد سوق البلدة
حيث يكثر المحتاجون..
وضع المال في يد أحدهم، ولكنّه استغرب إمساكه بيده بقوة رادّاً
المال، وضاعطاً عليها..
نظر إلى الرّجل فإذا به أخوه!

عقوق

أغاظها عقوقه المتواصل فقالت له ممازحة:
يا لخسارة سهر الليالي في العناية بك وإرضاعك!
أجاب بحنق: ما ذنبي إن كنت تشبعين أمومتك بإرضاعي؟ كان
يمكنك شراء الحليب كي لا تتعبني!
اغرورقت عيناها بالدموع، ولم تسمع صوت ارتطام رأسه بالبواب
لدى مغادرة البيت.

حقوق

نام على فراشه الوثير طامعا بأحلام سعيدة..

جثمت فوق صدره أجساد موظفيه الذين استغلّهم، وأكل مالهم
وراحوا يطالبون بعقابه.

أفاق وذهب مسرعا إلى خزنته؛ ليطمئن على ماله، فأيقظ أطفاله
مذعورين ومستغربين، وهو يصيح مستنجدا برجال الشرطة!

تضحية

أجبره موت والده أن يحلّ محله لأنّه البكر، فاضطرّ لإيقاف دراسته الثانويّة والعمل ليعيل أسرته.

واصل العمل ليل نهار ليوفّر الأقساط الجامعيّة لإخوته الذين كبروا، وكثرت طلباتهم.

تخرّج أحدهم طبيبا وذاع صيته لمهارته. وحدث أن مرّ يوما بسيّارته الثمينة، فرأى أخاه الكبير في المحطّة منتظرا الحافلة لتنقله.. تظاهر بأنّه لم يره ثمّ أكمل سيره..

وصلت الحافلة وهو يحفّف ماء عينيه عن أصابعه؛ لئلا يلوّث بطاقة دفع الأجرة.

أحلام

امتطت الأحلام صهوة العجب، حين قرعت طويلاً باب صاحبها،
فلم يأذن لها بالدّخول، لذا قرّرت البقاء على ظهر جوادها، وإبقاءه
في إسطنبول رفضه.

المتّهم

سأل القاضي المتّهم:

لم قتل الفتاة ما دمت تدّعي نيّة الاغتصاب لا القتل؟

أجاب:

لأنّها قالت لي أرجوك لا تفعل بي هذا... فالموت أحبّ إليّ..

اتّصال

اتّصلت بي صديقتي تخبرني عن رغبتها في امرأة متعلّمة ومثقّفة
تصلح زوجة لأخيها المطلق، وأعطتني مهلة للتّفكير.

بتّ أتقلّب على فراش الخجل من ردّي الرّافض للعرض، ولم
أستطع إبلاغها بردّي.

ولما عاودت الاتّصال بي أجبت بصوت متقطّع، ولكنّه أخّرس
حين قالت لي:

لقد وجدت الفتاة الملائمة لشروط أخي، والتي تقتضي أن تكون
أقلّ من ثلاثين سنة، عزباء، وطويلة القامة.. فلا تشغلي بالك
بالبحث صديقتي العزيزة!

الوفاء

كتببت كلمة الوفاء بلون أسود.. علّقت على أحد الجدران، ووقف أحدهم ليحرسها ويمنع الناس من الاقتراب منها.

استغرب البعض وسأل الحارس:

لماذا تحرس كلمة قد كتبت على خرقة؟

فأجاب:

لأنّ الوفاء في فترة حداد على ذاته بسبب احتلال الغدر لمكانه!

خناجر

وضعته الحياة في أصيص صَبَّار أزعجته أشواكه طويلاً.. بعد وخز
جلد التَّحَمُّل قَرَّر مغادرة الأصيص إلى حدائق الورود الشَّاسعة،
فأذهله الجمال، وعبق الرَّائحة وراح يُزخم أنفه بشذا الأزهار..

أغرته روعة الأزهار بالاقتراب، فقطف زهرة أنسته جراحاته..
شعر بالهدوء والاسترخاء، إلَّا أنَّ فرط الجمال أغواه فأكثر من
القطاف؛ ليجد نفسه محاطاً بباقات من الورود المتزاحمة عليه
أشواكها خناجر تدميه!

إنقاذ

على شاطئ بحر الإنقاذ جلس ينتظر قدوم سبع موجات هادئات
لتغسله من براثن الهموم، وتزيل أثر جلد سوط الدهر وما أبقى
من بثور...

مرّت ستّ موجات غاضبات فأبعدته عن رمل الشاطئ خوفاً،
وأجلسته على صخرة القنوط مردّدا دعاء القنوت، وإذ بهاء الموجة
السابعة يلطم وجهه، ويبلّ جسده، فأيقظت رعدة الجسد برداً
سكون الرّوح يأساً، ودعته للانتباه ومواجهة خطر الغرق،
فصرخت به أعماقه:

ليس بالدّعاء وحده تكمن النّجاة، ولا بالجلوس على صخر اليأس
تكون الحياة!

سواد

أدغشت الدّنيا، وأدغش قلبها حين تأوّهت شوقا وحسرة على شقيقة روحها.

جدلتا معًا جدائل الحياة متفقتين على الإخلاص في السّراء والضّراء، فجأة أشاحت بوجهها وغادرتها، ولم تتمكّن من إرجاعها إلى حضن الوداد، فيئست وتركتها تسيح في أرض التّجاهل لجهلها بالأسباب، لكنّ حمّى الحنين أجبرتها على طلب برد وسلام الوصل، فدعت صديقة مشتركة تسألها عنها بشوق وتحنان..

تضاحكت وقالت:

أنصحك بالنّسيان لأنّي حاولت مرّة إعادتها إلى بستان الودّ والأمان فأخبرتني بأنّ قطّا أسود دخل بينكما، وأظلم ضياء ما كان!

تذمّر

اجتمعوا ليلا ضجرين.. لعن أحدهم حظّه لعدم إسعافه في تحقيق أحلامه.

لام آخر والديه لتقصيرهم، وعوزهم الماديّ، وبالتالي حرمانه من التّعليم العالي.

وسخط ثالث على دولته ورئيسها لقلة فرص العمل.

صاح ديك الفجر وهم يتذمّرون، ولما لاح النّهار غطّوا رؤوسهم، وغطّوا في سبات عميق!

تحدّ

نصحه أحد العارفين أن يعيش يومه، ويستغل كنز لحظاته قبل ضياعه...

نهض في صباح يوم جديد متحدّياً همومه كلّها، ومردّداً: سأنسى أمسي، وأعيش يومي...

ظلّ مصرّاً على ذلك، وكلّمها راودته فكرة أوقفزت صورة من أمسه، أعادها إلى أدراج الماضي.. في المساء وجد نفسه يكنس سجّادة يومه الجديد بمكنسة أمسه!

محنة

عاش أيام شبابه ساخطا على كلّ يوم واجه فيه أمرا لا يروقه؛ عادّا
إياه محنة.. وكثيرا ما بات مشكول الفكر، محزون الفؤاد منتظرا
حتى يصله خبر يفكّه من عقال الأزمة..

لما بلغ من العمر عتياً، جاءه ولده يشكو إليه همّه، ويعلق على جدران
قلبه لوحات حزنه، فثارت ثائرتة، ولوّح بعصا احتجاجه صارخا:
تبّا لهذا الجيل الذي يكثّر من رفع رايات المحنة، ولا يدري أنّ
ابتلاءاته منحة!

مرض

اعتاد العجوز زيارة طبيب الحيّ الجديد صباح كلّ يوم شاكياً له
أوجاعه وأرقه؛ ليحظى بها يسكن ألمه.

مرّت ثلاثة أيّام ولمّا يأتِ، فافتقد غيابه وقلق عليه، وقرّر أن يزوره
بعد الانتهاء من عمله، فوجده جالسا برفقة مجموعة من الأهل
والأصحاب. سأله:

كيف صحتك اليوم؟ لم انقطعت فجأة عن زيارتي؟ فأجابه:
لأنّ مريض يا دكتور!

واجب

لاك الدّهر العجوز وأقعدّها على كرسيّ العجالات، بعد أن كانت النّحلة العاملة المغدقة على البيت من رحيق نشاطها، وجنى حكمة عمرها.

قالت لها إحداهنّ مواسية:

لا عليك ها هم الأبناء والأحفاد يخدمونك، ولا يسمحون لغول الوحدة أن يزورك.. خلقت فيها، وبسمة غامضة على شفيتها ثمّ ارتدّ صدى تنهّدها

متبعة إياه بقولها:

لقد أتعبتهم يا بنيّتي، ويعزّ عليّ ذلك .

فأجابتها:

هذا واجبهم وملزمون أن يقوموا به.

تضاحكت العجوز وردّت:

أرأيت؟ التّزام! لا حُبّاً...

نهاية

جلس على أرائك الإعزاز واتكأ على وسائد العزّ ردحا من الزّمن،
لكنّ بوصلة العمر غيّرت الوجهة، فشاخت الهمم وشحّت النعم،
وقعد يجترّ ما كان أيام الصّبا؛ متباهيا مرّة، ونادبا أخرى..

جاءه صديق عزيز طال غيابه، فلمّا رآه هاله حاله، فخرج يسبّ
ويشتّم ويتفّ على الإنسان إن كان هذا مآله!

وقبل أن يمسك بباب سيّارته سقط أرضا ماسحا بكمّه بصاقه.

في الحافلة

صعد الحافلة وقد نال التعب منه، فألقى بجسمه على كرسي مجاور للنافذة، ولشدة إرهاقه تغمض عيناه قليلا ثم يوقظه صوت من يعتلون الحافلة، ولم يسعفه الضجيج لاحقا من أخذ إغفاءة عميقة فشرب قليلا من العصير المثلج علّه يصحو ولكن عبثا.. وفيما هو يترنح ما بين اليقظة والغفوة أحسّ بجسم يلتصق بفخذه، ولم يلتفت لرؤية من جلس ملتصقا به هكذا، لكن الالتصاق أتبّع بحركات زادت من صحوته وشعر ببعض الراحة عندما مدّ يده ولا مست الفرو الناعم بقربه، فراح يسبح في بحر أفكاره المتسائلة كيف سيبدأ الحديث مع فتاته الغنيّة التي جاءت بها الصدفة الغريبة إلى هنا!

استمرّ التّحرش به فقرّر المبادرة بالكلام، التفت فلم يجد أحدا.. نظر إلى الكرسي وإذ بقطعة تموء محدّقة به.

ليلي

ركضت ليلي مستنجدة بجذتها لتخليصها من أنياب الذئب الذي يطاردها، بعدما كانت تسير بتؤدة رافعة رأسها بتباهٍ، ومدندنة بأعذب الكلام ، فارتدّ صدى صراخها عن قبر جدّتها، ليوقفها مذهولة للحظات.. لكنّ صوت خفقات قلبها أعادها للغابة، فالتفتت بكلّيتها مُسمّرةً عينيها في عيني الذئب.

صورة

رغب الحفيد أن يفاجئ جدّه بما يفرح قلبه، فطلب من المصوّر أن يضع صورة جدّه داخل إطار مذهب؛ لتسرّه صفرتّه .

دخل البيت وأصابع الفرح تداعبه، وأسرع واضعاً الصّورة الجديدة مكان القديمة.

ولمّا حان موعد تأمّل الجدّ للوحة العتيقة ولم يجدها، تبعثرت حبّات سُبحة الشّكر التي توقّعها الحفيد، حين صرخ جدّه :

مَن الأحمق الذي استبدل صورة هذا العجوز بصورتي؟!!

غضب

جلست صديقتان في حديقة غناء تتسارّان تارة وتشكوان أخرى،
فقالَت إحداهنّ:

قضيت معظم الليل أسلّي وحدتي أنا وصديقتي على صفحة
(الفيسبوك)؛ لأنّ زوجي ليس من أهل السّهر، ولا يهتمّ لأمرَي
كثيراً.

تنهّدت صديقتها وقالت:

وا حسرتاه! يسهر زوجي معي ولا يعتقني لحظة؛ مدّعياً أنّه غير
مستعدّ لتركي أسهر وأصدقاء خلف الكواليس!

سمعت كلامهما طيور الحديقة التي ملأت الأجواء هناء، فغادرتها
غاضبة تبحث عن مكان آخر.!

عتاب

جلس واهنا على مقعد ذكرياته، ثم راح يجوب في شوارع مدن
نضارة أيامه؛ مستحضرا نفسه الشابة ومعاتبا إيّاها:

لم تلمّحي لي بخسارتك يوما ما؟!

فأجابت: لأنّك لم تفز بي لحظة ما!

صراحة

أخذ الأوراق وذهب إلى طبيبه المختصّ لقراءتها.

حملق الطّبيب أثناء قراءة ما طبع على الأوراق، ومكث دقائق مطرقا، وأصابعه تداعب القلم، ثمّ رفع رأسه موجّها نظراته نحو مريضه قائلا:

يؤسفني أنّ ذلك المرض الخبيث قد نال من جسمك الكثير، ولا أخفي عليك أنّ موتك سيكون قريبا!.

وبضحكة صفراوية زادت من عصفرة الوجه أجاب المريض:

ولن أخفي عليك أنّني لم أكن يوما حيّا لأموت!.

سنابل الأكمة

علّمها قيظ الحياة أن تكون بردا وسلاما ، فسارت في مناكب الأيام
متحدية الجسور، ورادمة الحفر كي تتمكن من الوصول لتلّ الأمل
الذي رسمته لها ولصغارها بعد فقد زوج أسكنها في أجمة جمال
الأحلام، وعلّمها كيف تظلّ قابضة على غصونها.

حين وصلت أطراف الأكمة بذرت بتربها قمح ما بقي من أمانيّ،
ولما جاء وقت الحصاد لم يفطن أحد بسنبلة تقدّم لها هديّة، لكنّها
أحسّت بشوكتها تنغرس في قلبها، ولما ضايقتها كثيرا انتزعتها بقوة
وصعدت أعلى الأكمة قائلة : ستكون سنابل الأعالي أكثر حبا.
ولن يكون أولادي أقلّ حبا!

مصير

ألقته أيادي الخيبة في جبّ الألم والحيرة؛ متطلّعا لسيّارة يتشلونّه..
جفّت مياه الجبّ ولم يمرّ أحدٌ.

أوراق الورد

اعتصر (أوراق الورد) لينهل منها رحيق المعرفة، ويسير في دروب
السَّعادة.. مرّت الأيام فوجد نفسه مُلتاعاً بين عَذب ما نَهَلَ، ومُرّ
ما جرّعه الزَّمن!

فرح

صدحت الحناجر بأهازيج الفرح فانتشى الصّباح فرحا وطربا..
العروس في صالون التّجميل، والشّبان ينتظرون خروج العريس
من الحّمّام (وحمام الدّار) أفزعه صوت الغناء ولم يعد في (طواقيه)*.
طال الانتظار، فتقدّم أحدهم مناديا العريس، لكن لا ردّا!
بعد ساعات، استفاقت العروس على صوت النّسوة وهنّ يعددن!
*(من أغنية شعبيّة)

توبة

ألقى به فراغ جيبه الفجائيّ إلى صيد قلوب نساء ملء مشاعره التي
حبسها الإلهاء الماديّ سابقا؛ موهما كلّ واحدة بأنّها حبّه الخالد!
مرّت الليالي الشّهزاديّة وهو على وسائد الاسترخاء منتظرا عودة
الرّخاء.

بغته، هاجمه ضميره رافعا في وجه مغامراته سيف التّأنيب، لكنّه
واجهه بترس الرّفص والوعيد مكملا المسير فيما اختاره من طريق!
استفاق ذات صباح يعاني الخواء ويشكو ما أصابه من داء، ولا
يدري ما الدّواء؟!

مشى يائسا وإذ بصوت يخترق أذنيه ويدعوه للصّلاة، توقّف منصتا
فأدمعت عيناه، وفاض وجهه بشرا، ثمّ همّ ليلبّي النّداء.
بعيد لحظات، سمع صفير سيارة الإسعاف، ورفعت أكفّ للدّعاء،
ولم تكفّ العيون عن البكاء.!

مفاتيح

أسعده أن يجد من يصدقه القول والفعل، فسلمه
مفاتيح خزنة أسرارهِ، وألقى بكلمة السرّ في أعماقه!
دارت الأيام وانقطعت جبال الودّ وذرت رياح الهجر ما كان من
كلام، فابتلع الرّجل الغصّة ودعا صاحبه لإصلاح الحال، لكنّه لم
يهنأ له بال مذرأى مفاتيح خزنته معلّقة على مشاجب من عرف من
الأنام.

تأديب

أبلغه أحدهم أنّ ابنه سليط اللسان، بذىء الكلام فرفع في وجهه عصا التهديد لمنع الترويح، مشيراً إلى الأخلاق الحميدة التي يتمتع بها هو وعائلته.

بدأ بمراقبته فشعر أنّ الغيرة تدبّ في قلوب من يعرفونه؛ نظراً لما يحظى به من رهف العيش.

في صباح يوم حافل بالأعمال طلب من ابنه ذاك المساعدة، فتظاهر بعدم السماع.. كرّر الطلب فلم يلبّه، عندها صاح به:

يا ابن ال... لماذا لا تعيرني اهتمامك؟!

دوائر

جلست على صخرة ثم تناولت بعض الحصىّات وألقتهما في البحر.
أمتعها مشهد الدوائر بعد رمي كلّ حصوة، فصارت ترمي بقوة
مضاعفة ليزداد اتّساع تلك الدوائر.
فجأة، استشاطت غيظا ونهضت تبحث عن حجارة ترجم بها
أحلامها التي ضاقت بها مساحة دائرة أيامها.

رشوة

دفعوا المال الوفير لتقديم موعد العملية الجراحية، بعد أن فشلت
الطلبات المتكررة في تحقيق الأمر.

جهزت الغرفة ودعي أمهر الأطباء،

همّوا بتحضير المريض للعملية الجراحية، ولكنه وجد على سرير
دون حراك .

سرج

من ظلمات القهر انطلقت بإرادة وعزم لإيقاد السرج بزيت اليقين
لتحقيق ما ترغب فيه.

تعددت الدروب وطال المسير، وأفرغت زيوت جرار عديدة، ولم
يبرز هلال الفرج.

أصرت على الإمساك بحزمة من خيوط النور إلى أن قادتها
للجلوس تحت ظل نخلة الأمل. استراحت ثم نظرت نحو السماء
وهزت بجذعها، لكنها لم تساقط عليها رطبا جنيّا.

برد

الرَّيحُ تعوي، والأطفال يصرخون، والخيام تهتزّ وتهزّ معها فؤاد
الأمّ القابعة تحت خيمة مزّق بعضها منها سكّين الأئنين.

امتزجت الأصوات، ولم تدرك أنّ من تحتضنها قد سكت صدرها
عن الرّفير، وظلّت شفتاها مرتجفتين يحركهما ناب البرد، وسيف
الدّعاء إلى أن لفتت الزّرقه نظرها، فهبّت تستغيث، لكنّ صوتها
المرتجف ابتلعه صرخات الرّيح وما من مغيث!

حدّقت في وجه ابنتها منتحبة وصارخة :

إنّ التحف الضّمير الإنسانيّ يا ابنتي ببرد المشاعر، فمن أين لنا
بدفء المساكن؟!

ق س ك

حزن

نظرَ زوج الحمام طويلا؛ فحزن لهجره!

رحيل

بعد موته؛ ساد وجه الأرض الرّخاء.

قبعة

اعتمر قبعة الذكرى؛ فسببت سقوط شعره!

توهان

مذأبحرنا في مراكب الأغراب؛ تهنا.

صحوة

حين صحا لذاته؛ وجد ظهره مقوّسا .

الكاتبة في سطور

كاملة حسين بدارنة من مواليد قرية عرّابة البطّوف في الجليل،
بتاريخ: ٢٣ / ٣ / ١٩٦١.

أنهت المرحلة الابتدائية في مدرسة عرّابة (أ) للبنات، والثانوية في
كلية الجليل المسحية في قرية عيلبون عام ١٩٧٩

حصلت على اللقب الأول في الأدب العام والتربية من الجامعة
المفتوحة في تل - أبيب، عام ١٩٩٤، وبدأت العمل في السلك
التعليمي كمعلمة مؤقتة لمواضيع مختلفة في مدرسة (حسين ياسين
الابتدائية) ثم انتقلت إلى مدارس أخرى في بلدتها عرّابة. وخلال
عملها درست للحصول على لقب معلم مؤهل في موضوع اللغة
العربية. في كلية دار المعلمين العرب في حيفا، لتعين بعد ذلك
رسمياً معلمة لغة عربية مثبتة في مدرسة البخاري الشاملة - عرّابة
عام ٢٠٠٢، ولا تزال تعمل هناك

حاصلة على شهادة للعلاج بالطاقة من مركز (أوريال)

عضو في ملتقى رابطة الواحة الثقافية.

عضو الاتحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي (GUCIL).

عضو اتحاد الكتاب العرب الفلسطينيين - حيفا

الإصدارات:

١. طار الطير - دراستان في الحكايات الشعبيّة (٢٠٠٢)
٢. زخّات المطر - قصص (٢٠١٠)
٣. ذات خريف - قصص (٢٠١٢)
٤. سباحة بين الحروف - نثرّيات (٢٠١٢)
٥. المرأة الفلسطينيّة وأغنية العرس الشعبيّة - دراستان في الأغنية الشعبيّة النسائيّة (٢٠١٣)
٦. أنسام وعواصف: جذى نثريّة وشعريّة، بالاشتراك مع الشاعرة ربيعة الرّفاعي (٢٠١٤)
٧. قراءات نقدية في ألوان أدبيّة (٢٠١٤)